مادة: النص الأدبي الحديث **جميع التخصّصات**

المستوى:السنة الثانية ليسانس **الأستاذ: بن زياني**

محاضرة رقم 09:

الفنون النثرية: القصة

لم يخل أدبنا العربي القديم من فن القصة بمفهومها البسيط، ففي الأدب الجاهلي قصص تدور حول أيام العرب وحروبهم، وفي القرآن الكريم قصص عن الأنبياء ومن أرسلوا إليهم، وفي العصر العباسي، نُقِلَ إلى اللغة العربية بعضُ القصص من الأمم الأجنبية، ومن أشهرها(كليلة ودمنة، ألف ليلة وليلة).

وعرف الأدب العربي في تاريخه الطويل أعمالا أخرى، توفر لها قدر من النضج الفني، تَمَثَّلَ بنحو خاص في (رسالة الغفران) التي كتبها أبو العلاء المعري(ت1057م) مصطنعا أسلوب المقامة، وفي قصة(حي بن يقظان) التي ألفها ابن الطفيل(ت1185م) والتي اتسمت بمتانة البناء الفني على الرغم من ازدحامها بالآراء الفلسفية والأفكار المجردة.

1) مفهوم القصّة (لغة/اصطلاحًا):

لقد تعددت تعاريف مصطلح القصة من ناقد لآخر، ومع ذلك نعرج على تقديم ما جاء في بعض تعاريف النقاد حول هذا الفنّ النثري من تعاريف معجمية لغوية، واصطلاحية نقدية وهي كالآتي:

أ- القصة لغة:

لقد عرّفت القواميس العربية القصة تعريفات متعددة منها ما ذكره معجم لسان العرب لابن منظور؛ على أنّها كلمة مأخودة من مادة(قصَصَ)، و"القصة: الخبرُ وهو القصَصُ، وقصَّ عليَ خبرَهُ يقصّهُ قصًّا وقصَصًا:أوردَهُ، والقصَصُ:الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصَصُ بكسر القاف جمع القصة التي تكتبُ".

ب-القصة اصطلاحا:

عرّفتها **(سوسن رجب)** بأنّها"عمل أدبي، يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة، يتعمق القاص في تقصيها والنظر إليها من جوانب متعددة ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمانها ومكانها وتسلسل الفكرة فيها، وعرض ما يتخللها من صراع مادي أو نفسي، وما يكتنفها من مصاعب وعقبات، على أن يكون ذلك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة".

وتعد القصة من فنون النثر العربي الحديث، وهي فن نثري متميز ومشهور جدا، عبارة عن مجموعة من الأحداث تتناول حادثة واحدة، أو عدد من الوقائع. بحيث تتعلق تلك الوقائع بشخصيات إنسانية منها وأُخرى غير إنسانية. القصة تقسم إلى قسمين بحسب أحداثها، هما واقعية وحقيقية، وخيالية خرافية. وتتميز القصة بأنها تقوم بتصوير فترة زمنية كاملة من حياة خاصة. وهي تعرض سلسلة من الأحداث الهامة والبارزة والشيقة طبقا إلى ترتيب معين. القصة تتكون من عدة عناصر وهي الأحداث والاقتباس، والتشويق والحركة والخبر والحوار والأسلوب. وتتناول القصة الكثير من المواضيع المختلفة مثل تاريخ القبيلة والفروسية، والنصر في المعارك. وقصص خرافية وأساطير وقصص من واقع الحياة الاجتماعية اليومية. وقد عرف أدبنا العربي الحديث نوعين من القصة، هما:

- القصة الطويلة(الرواية)

-القصة القصيرة(الأقصوصة).

2) جذور وبدايات القصة العربية الحديثة: كانت بدايات فنّ القصة تدور في اتجاهات ثلاث هي:

- **اتجاه المقامات:** اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على فنّ المقامة العربية كنموذج للقصة النثرية، من خلال استخدام لغة السجع والجناس، ومن رواد هذا الاتجاه: **الشدياق** في كتابه **(الساق على الساق)** أربع مقامات اقتربت من القصة القصيرة، وعالج فيها بعض المشكلات الاجتماعية، و **محمد المويلحي** في كتابه **(حديث عيسى بن هشام)**.

-**اتجاه الكتابة على نموذج ألف ليلة وليلة:** الذي حاكاه العديد من الأدباء منهم: حافظ إبراهيم في كتابة**(ليالي سطيح)**، ولطفي جمعة في كتابه**(ليالي الروح الحائر)**، وغيرها من الليالي. ومع أن هذه المحاولات اتسمت بالجدّة وتناولت الواقع بنظرات نافدة، إلاّ أنّها لم تلّبِ حاجات العصر، ولم تستوف التعبير عن وجدان الأمّة التي وجدت طريقها إلى الفن القصصي الغربي عندما اتصلت به، وما تبع ذلك من نقل واقتباس وترجمة.

- **اتجاه أدب الرحالات:** وفي هذا الاتجاه نسج الأديب نصه القصصي على منوال فنّ الرحلة نحو : **تخليص الإبريز في تلخيص باريز** لرفاعة رافع الطهطاوي.

- **اتجاه المحاكاة والتأليف للنماذج الغربية:** ونسج نماذج قصصية فنّية على منوالها نذكر منها:(علم الدين) لعلي مبارك/ وقائع الأفلاك في مغامرات تليماك(لرفاعة رافع الطهطاوي)

-**اتجاه الاقتباس والترجمة:**يقوم على ترجمة النماذج النثرية الغربية وتقديمها كما هي مع تقديم عناوين عربية لها، مثلما نهجه **(مصطفى لطفي المنفلوطي)** من ترجمات للعديد من الأعمال القصصية العالمية نحو:(ماجدولين"تحت ظلال الزيزفون"/الشّاعر/ في سبيل التاج") وغيرها من الأعمال القصصية العالمية.

وتعدّ هذه التجارب النثرية السالفة للذكر بداية لفنّ القصة العربية ، فلكل فنّ أدبي بدايات تحدد شكله، وتطوره التاريخي الذي عرفه تدريجيًا.

3) تطور القصّة تاريخيًا:

لقد تأثرت القصة العربية بالأدب الغربي في العصر الحديث في أطوار تاريخية متعاقبة حيث أخذت- في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين- تتخلّص تدرجيًا من المظاهر التراثية القديمة، إذ بدأ الوعي الفني ينمي جنس القصة من موردها الناضج في الآداب الأخرى بشكل تدريجي، وذلك بتعريب جلّ موضوعات القصص الغربية وتكييفها لتطابق الميولات الشعبيّة لتساير في النهاية وعي جمهور المثقفين العرب، فتطلب الأمر الترجمة الصحيحة لتلك القصص، وقد قام بها كثير ممّن أسدوا إلى الأدب واللّغة خدمة

عظيمةً، ونذكر من هؤلاء كل من الكاتب "طه حسين"، و"عبد الرّحمن البدوي" "عبد الرّحمن صدقي" ، وغيرهم من المبدعين.

وإذا كانت قصص(**مصطفى لطفي المنفلوطي**)، والتي احتواها كتاب (العبرات) تمثل الريادة الأولى غير الناضجة لفن القصة القصيرة، فإنّ قصص **محمّد تيمور**، التي ضمتها مجموعة، "**ما تراه العيون**"، تمثل الريادة الناضجة والأقرب إلى الكمال في هذا الفنّ، وبعد هذا وصلت القصص إلى مرحلة النضج، حيث أسهم في هذا المجال بعض الكتاب المرموقين ممن كان لهم نشاط كبير في ميادين عديدة نحوَ: "**إبراهيم المازني**"، "**توفيق الحكيم**"، "**نجيب محفوظ**"،"**يوسف السباعي**"،"**عبد الرحمان الشرقاوي**"، وغيرهم كثيرون.

وأخيرًا بدأت القصة العربيّة تتأثر بالاتجاهات الفلسفيّة والواقعيّة في معالجة الحقائق الكبري أو المشكلات الاجتماعيّة مثل قصة، "**أنا الشعب**"، لمحمّد فريد أبي حديد وقصص توفيق الحكيم، "**عودة الروح/ عصفور من الشرق**" وقصة، "**الأرض**" للكاتب عبد الرّحمن الشّرقاوي، وكذا قصص المبدع "نجيب محفوظ"، والفارق الأساسي بين القصة القديمة والحديثة يرجع إلى مضامين كل واحدة منهما، فمضمون القصّة الكلاسيكية يدور في فلك عالم مثالي أو خرافي أو وهمي، بعيدًا إلى حد كبير عن حقيقة الحياة التي يحياها أغلب أفرد المجتمع ، أمّا القصة الحديثة فقد أفسحت المجال وفتحت الباب واسعاً ليحتل مكان الصدارة فيها الإنسان العادي البسيط.

ويبقى الاختلاف كبيرا بين النقاد المحدثين في نشأة القصة العربية الحديثة فمنهم من يعود بها لأصلها العربي وأنها وليدة التراث القديم، ومنهم من ينفي هذا الرأي تمامًا ويعود بها إلى أشكال التأثير والتأثر بالترجمات والاحتكاك بالغرب والتعرّف إلى نتاجه القصصي ونقله إلى العربية، ولا شك في أنّ القصة العربية قد مزجت بين القديم العربي وبين الغربي الأجنبي وقد قدّم هذا الجنس الأدبي العديد من النماذج القصصية الراقية عن المجتمع العربي وعاداته وتقاليده وفلسفة الحياة التي يعيشها، ولذلك باتت هذه النصوص بمثابة مدخل لتفسير ذلك

الواقع المؤلم الذي يعيشه الفرد داخل أسوار مجتمع تحكمه طقوس، ومرجعيات تصور الفرد كيف يحيا داخلها بتجاربه، وصراعاته وأفكاره و آماله.

4) الخصائص الفنية للقصة:

هناك ثلاثة عوامل تسمّى بـ خصائص القصة والتي تعمل على تميزها عن باقي النصوص الأدبية وهي تكون كالآتي:

1- الوحدة:

- تشير خاصية الوحدة إلى ضرورة وجود فكرة واحدة رئيسية في القصة، أي تتوقف على أمر واحد لا يتم تغيره، على سبيل المثال: إذا كانت القصة من النوع الاجتماعي فيجب أن تضم أفكار اجتماعية وهكذا.
- كما يشير مصطلح الوحدة إلى احتواء القصة على شخصية واحدة رئيسية، وكذلك هدف واحد، بحيث يجب أن يسير الكاتب في اتجاه ثابت وواحد أثناء كتابة القصة.

2 -الدراما

- تعتبر الدراما واحدة من أهم وأبرز خصائص القصة، وذلك لأنها تضيف إلى القصة عدة أمور تزيد من نجاحها، مثل: الحركة، الأحداث التي توضح هدف القصة، والتفاعل بين الشخصيات.
- تساهم خاصية الدراما في إيصال الوحدة إلى القارئ بالشكل الذي يجعله في تأثر واندماج واضح مع القصة وأحداثها، وبالتالي تحسين الخيال لديه بهدف زيادة تفاعله مع القصة وموضوعها، وبالتالي فشل أو نجاح القصة.

3 -التكثيف

- بمعنى ضرورة اتجاه القصة نحو تحقيق هدف محدد وثابت، بجانب الالتزام في إحداث التنوع والتغير في كتابة الجمل القصيرة بالشكل الذي يخدم النص الأدبي ويبرز الهدف الأساسي من كتابته.

- من المهم أن تشتمل الدلالات اللغوية في نص القصة على كل العوامل التي تؤثر بشكل كبير في القارئ، وبالتالي سوف يتمكن الكاتب من تحقيق نجاح القصة بسبب أسلوبه المميز والصحيح.